

صلاة الجماعة في الكعبة الشريفة من وجهة نظر هندسية

عباس علي عبد الرضا*

المقدمة:

صلاة الجماعة وهي إقامة الصلاة مع جماعة من الناس يقتدون بإمام يقف أمامهم، فيسمى الناس الذين يصطفون خلفه بالمأمومين، وتسمى الصلاة حينئذ بصلاة الجماعة، ومن تركها متعمداً قد تؤدي إلى عدم اكتمال صلاته، فروي عن الإمام جعفر بن محمد الصادق (ع) في فضل صلاة الجماعة أنه قال: من تركها رغبة عنها وعن جماعة المؤمنين من غير علة فلا صلاة له^(١). وتزداد صلاة الجماعة فضلاً عندما تكون في بيت الله الحرام، حيث الكعبة المشرفة التي جعلها الله للناس قبلة لصلاتهم سواء أكانوا في داخل المسجد أو بعيداً عنه.

نحاول في هذا البحث أن نعطي التفسير الهندسي للصلاة جماعة حول البيت الحرام بالترتيب المحوري، والذي هو مجزي عند أهل السنة والجماعة وغير مجزي عند الأمامية. ولكي تتحقق صلاة الجماعة لا بد أن يكون الإمام متقدماً على المأمومين في الصلاة. إن الترتيب المحوري في الصلاة جماعة في بيت الله الحرام من وجهة نظر الفقه الأمامي لا يحقق هذا الشرط، أما عند أهل السنة والجماعة فالأمر يختلف من تلك الناحية. ثم نقدم الحل الهندسي لمسألة الخلاف بحيث يحقق الموقف الشرعي للصلاة في هذا المكان المقدس والشريف.

المبحث الأول : صلاة الجماعة

((وإذ جعلنا البيت مثابةً وأمناً واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيئتي للطائفين والعاكفين والركع السجود. وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلداً آمناً وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر..))^(٢)

الكعبة أول بيت وضعه الله للناس على الأرض وهو البيت الحرام والبيت العتيق وهو القبلة التي اختارها الله للمسلمين يتجهون إليها في كل صلاة.. اختلف العلماء في زمن بناء البيت العتيق فمنهم من قال أنه في

* دكتور ومدير عام مركز البحوث والدراسات التربوية / وزارة التربية .



عهد نبي الله آدم (عليه السلام) ومنهم من قال أن بناؤه قبل خلق آدم ومنهم من قال أن البناء في عهد نبي الله إبراهيم (عليه السلام).

قال الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن مكة هي أحب بلاد الله إلى الله) وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم فتح مكة: (أن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة لا يعصده شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها ولا يختلي خللاً) وقد شرع الله للحرم أحكاماً تخصه منها: تحريم القتال فيه وتحريم صيد الحيوانات والطيور الموجودة به، وتحريم قطع نباته الذي أنبته الله تعالى ولم يزرعه أحد وتحريم التقاط لقطته إلا لمن يعرفها، ولقد جاء في فضل مكة المكرمة أحاديث كثيرة منها الصحيح ومنها الضعيف، ولعله من المفيد أن نذكر بعض فضائلها وميزاتها. ومن أعظم فضائلها مضاعفة أجر الصلاة، فقد ثبت عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من صلاة في مسجدي هذا بمائة مرة)^(٣) ويكون معنى هذا الحديث أن الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة، لأنها تفضل الصلاة في المسجد النبوي بمائة مرة وبما أن الصلاة في المسجد النبوي بألف فيصبح المجموع مائة ألف، حاصل ضرب ألف في مائة، هذا إذا كانت الصلاة فرادى فكيف إذا أدت جماعة، فذلك فضل لا يساويه فضل.

قال الإمام جعفر بن محمد الصادق (ع): أول جماعة كانت أن رسول الله (ص) كان يصلي وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) معه إذ مرّ أبو طالب وجعفر معه فقال: يا بُنَيَّ صلّ جناح ابن عمك، فلما أحس رسول الله (ص) تقدمهما، وانصرف أبو طالب مسروراً.

المبحث الثاني : التفسير الهندسي لموضوع الخلاف

التفسير الهندسي الآتي يعطي التبرير الفقهي لشرعية الصلاة جماعة حول بيت الله الحرام وفق مذاهب أهل السنة والجماعة:

يقول الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم (ومن حيث خرجت فولي وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره)^(٤). يفهم من هذه الآية المباركة أن تكون الصلاة باتجاه البيت الحرام من أي مكان يصلي فيه المسلم، ويقول السيد الخوئي (رض): يجب استقبال المكان الواقع فيه البيت الشريف الذي هو من تخوم الأرض إلى عنان السماء في جميع الفرائض اليومية وتوابعها من الأجزاء المنسية. ووفق هذا يجب أن تكون الصفوف على شكل خطوط مستقيمة ومتوازية مصطفة بصورة عمودية على اتجاه القبلة.^(٥)

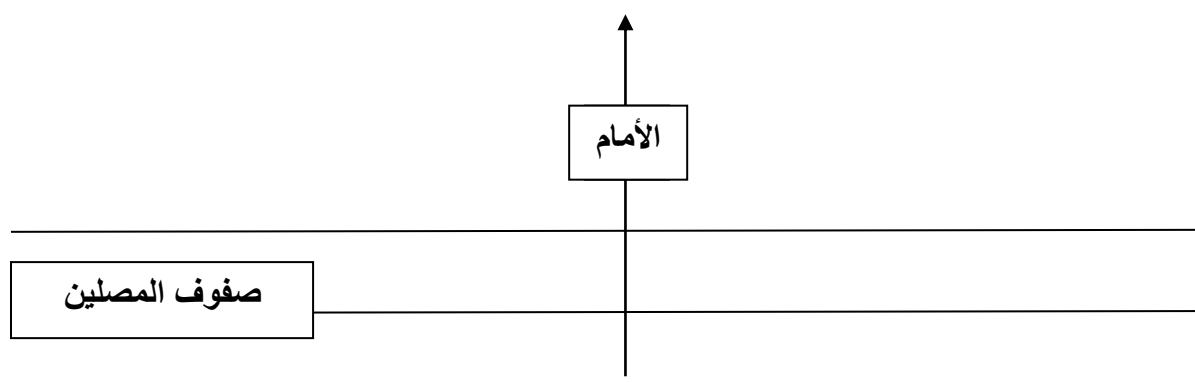


نلاحظ من الشكل (١) أن خطوط المصلين كلها تكون خلف خط وهمي يسمى (خط محاذاة الإمام). فواضح هنا أن الإمام يتقدم المصلين، وهذا ما يتفق عليه أهل السنة والإمامية.

ولكن الخلاف، كما أسلفنا، يحصل بين المدرستين الفقهيّتين، أهل السنة والجماعة والإمامية، فقط عندما تكون الصلاة جماعة في البيت الحرام.

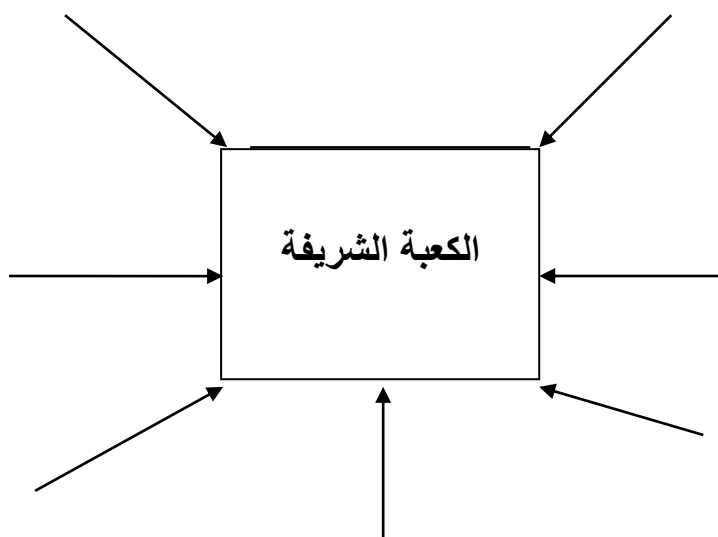
متجهه شطر المسجد الحرام

القبلة



شكل (١) يبين ترتيب المصلين بالتوجه شطر المسجد الحرام

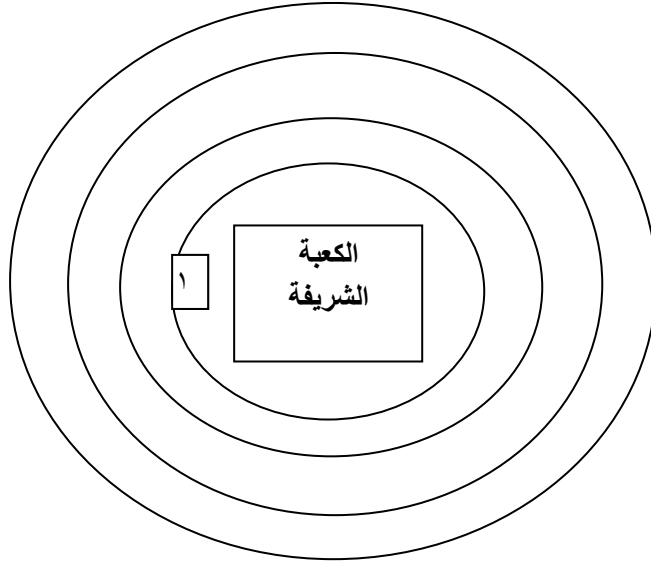
كما نعلم أن القبلة داخل المسجد الحرام تتجه باتجاه شعاعي نحو الكعبة، فعليه يستطيع المصلي أن يؤدي صلاته بأي اتجاه يشاء ما دام البيت أمامه. ^(٦) أنظر الشكل (٢). بهذا الترتيب نجد أنه لا خلاف بين أهل السنة والإمامية عندما تكون الصلاة فرادى وليست جماعة.



شكل (٢) يبين التوجه المحوري في الصلاة فرادى حول البيت الحرام

وأما بالنسبة للصلاة جماعة صلاة الجماعة حول البيت الحرام فهي تُقام في الوقت الحاضر بشكل خطوط دائرية متحدة المركز، وهذا المركز يقع في البيت الحرام، وتأخذ هذه الدوائر بالانتساع كلما ابتعدنا عن

الكعبة الشريفة ^(٧) أنظر الشكل (٣).



الشكل (٣) يبين ترتيب المصلين جماعة حول الكعبة وفق مذاهب أهل السنة والجماعة

وكما هو معروف في أصول الهندسة المستوية، فإن الدائرة الأصغر قطراً هي متقدمة على الدائرة الأكبر قطراً والتالية لها، بشرط أن يكون اتجاه النظر نحو المركز، وبعبارة أخرى، الدوائر الأكبر قطراً تكون خلف الدوائر الأصغر قطراً.

ومن هذا المنطلق فإن الدائرة الوهمية (المحاذاة) التي يقف عندها الإمام في البيت الحرام تكون متقدمة على كل الدوائر التي يصطف فيها المصلين، وهو يتقدمهم دائرياً وليس خطياً.

فوفق مذاهب أهل السنة والجماعة إن عدم المحاذاة للإمام حاصلة، ولو بصورة دائرية، والمصلون كلهم يصطفون خلفه دائرياً، ومتوجهين إلى البيت الحرام بالتوجه الشعاعي الموضح في الشكل (٢).

من هنا فإن موضع الخلاف بين الإمامية وأهل السنة والجماعة هو فقط في تقدم الإمام على المصلين لا من حيث التوجه. في حين إن الإمامية لا يعتبرون الإمام في الشكل (٣) متقدماً على كل المصلين بدليل

أنهم يكونوا أمامه من الجهة الثانية من البيت، ولكنه، كما هو واضح، أن الإمام متقدم عليهم بشكل نصف دائري، فهذا لا تحقق الجماعة عندهم لكل المصلين وفق هذا الترتيب.

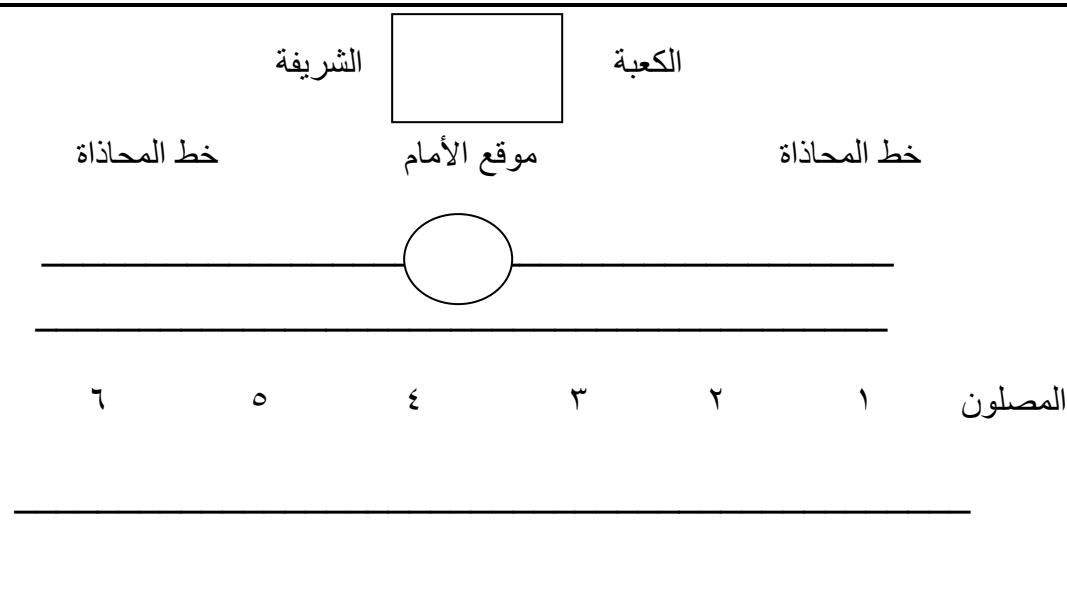
المبحث الثالث : الحل الهندسي للخلاف

لعل الرجوع الى الرياضيات في حل بعض المشاكل والخلافات التي تحدث في مسألة فهم بعض النصوص الواردة وخصوصاً عندما يقع فهمها ما بين الدقة العقلية والصدق العرفي. فالرياضيات بفروعها قد تعين في توضيح مسألة الخلاف وتساعد على إدراك وفهم الحكم الشرعي لدرجة اليقين الصادق. وما موضوع الخلاف الفقهي في الصلاة جماعة في البيت الحرام بين السنة والإمامية إلا واحداً من هذه الأمور التي تتطلب منا الرجوع إلى القوانين الهندسية لغرض إيجاد الطريقة الشرعية للصلاة جماعة في البيت الحرام. وليس الغرض من الحل الهندسي لموضوع الخلاف هو لتقديم الحل الوسط للطائفتين، ولكنه، كما نعتقد نعتبره وسيلة مرضية ومقنعة لفهم وإدراك الحكم الشرعي للصلاة جماعة في البيت الحرام.

كما أسلفنا، أن الاختلاف في صورة صلاة الجماعة في البيت الحرام بين أهل السنة والجماعة والإمامية، حيث يرى الطرف الأول أن صلاة في البيت الحرام هو بالأصطفاف المحوري حول البيت الحرام، وهي كما علمنا لا تنقض عندهم حالة المحاذاة، فهم وفق هذا الرأي متوجهين الى القبلة بالاتجاه الشعاعي، فالكعبة أمامهم. وأما الطرف الثاني فهم لا يرون أن الصلاة جماعة في البيت الحرام بالأصطفاف المحوري مجزياً ويعتبرون ذلك مُخلاً في حالة المحاذاة فقط. فالصلاة جماعة عندهم في هذا المكان الشريف يجب أن تكون بخطوط مستقيمة وخلف الإمام.

وهنا يرد إشكال في حالة التوجه الى الكعبة في الصورة الثانية (أي الصلاة بخطوط مستقيمة خلف الإمام)، حيث يبدو لنا إنه ليس كل المصلين هم في حالة توجه الى الكعبة في صلاتهم.





الشكل (٤) يوضح مواقع وتوجه المصلين في الاصطفاف الديكارتى نحو الكعبة الشريفة

فالإمام يقف خلف الكعبة والمصلون في الموقع ٣ و ٤ يقفون خلفه وهم بالتالي خلف الكعبة، أي أنهم متوجهون من حيث الموقع الى القبلة وهي أمامهم، أما المصلون في الموقع ١ و ٢ و ٥ و ٦ جميعهم يقفون خلف خط المحاذاة مع الإمام، إلا أنهم غير متوجهين الى القبلة بدليل أن الكعبة ليست أمامهم.

فلو أخذنا برأي الأمامية ورسمنا خطأ وهمياً وهو ما يسمى بالأصطلاح الفقهي بخط محاذاة الإمام، وهذا الخط سوف لا يسمح التطاول على خط الإمام لأن موقف المصلين خلفه بحيث لا يصدق أن المصلين يقفون أمام الإمام عرفاً، أنظر الشكل (٥). وكذا لو أخذنا برأي أهل السنة والجماعة بحيث أن المصلين لا يقفون بخطوط مستقيمة في داخل الحرم الشريف بل في دوائر متحدة المركز. فلو التقى الرأيان، فأن الحل الهندسي سوف يقول لنا: أن خط المحاذاة المرسوم سوف يقطع الدوائر المتحدة المركز الى جزأين، جزءاً فوق خط المحاذاة و جزءاً آخر خلف خط المحاذاة. فالمساحة التي تغطي المكان الذي يمتد خلف خط المحاذاة سيكون هو المكان الذي تنتظم فيه صفوف المصلين، وأما مساحة الجزء الآخر فلا يجوز فيها الصلاة جماعة لأن المصلين سيكونون أمام الإمام في صلاتهم.

ولكي يصطف المصلون على المقاطع الدائرية، والتي تقع خلف المحاذاة، بصورة تحقق شرطي صلاة الجماعة، في التوجه الى الكعبة والوقوف خلف خط محاذاة الإمام بحيث لا يحصل حالة التطاول في مواقع المصلين بالنسبة لموقف الإمام، حتى نحقق ذلك علينا أن نتخيل أن هناك أشعة

تنتطلق من البيت الشريف بصورة خطوط مستقيمة بحيث تكون عمودية على المماس لدائرة المصلين والذين يمر من الموقع الذي يقف فيه المصلي، بدرجة تحقق فيه توجهه الى الكعبة الشريفة.

وهكذا فإن الصلاة جماعة في بيت الله الحرام وفق هذا الرأي ستكون بمقاطع دوائر متحدة في مركز وهمي يقع في داخل الكعبة الشريفة وليس بخطوط مستقيمة ديكارتية متوازية كما يحصل للمصلين الذين يؤدون صلواتهم الى سمت الكعبة، وذلك عندما يبتعدوا عن البيت الحرام بمسافات كبيرة جداً، بحيث تتحول تلك المقاطع الدائرية الى خطوط مستقيمة كلما تناهت في الكبر أقطارها. وتلك هي حقيقة هندسية معروفة ومسلم بها، من أن المقاطع الدائرية تتحول تقريباً الى خطوط مستقيمة كلما كبرت الأقطار وأتسعت بالإمتداد الذي قد يصل إلى آلاف الكيلومترات، وهذا هو مصداق الآية المباركة:

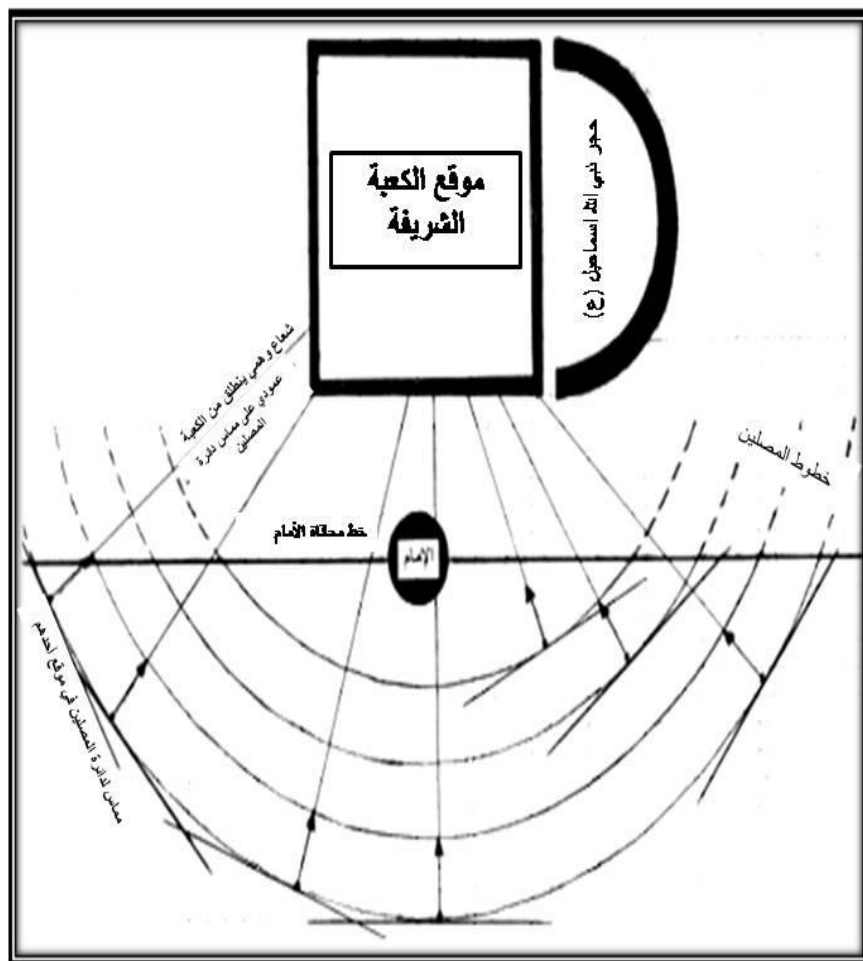
(قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ).^(٨)

وهذا يعني أن الله سبحانه وتعالى أمر النبي (ص) وهو في المدينة المنورة أن يستقبل في صلاته البيت الحرام أي الكعبة الشريفة، ثم يتوجه القرآن الكريم إلى الأمة بأن تتوجه في صلاتها وتولي الكعبة الشريفة في ذلك.

ثم يأتي الأمر التالي في الآية المباركة التالية:

(وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ)^(٩)

وهذا يعني أنه في حالة الابتعاد عن البيت الحرام يجب أن نحدد القبلة باتجاه سمت الكعبة الشريفة بحيث نصلي بخط مستقيمة، وهي في الحقيقة عبارة عن أجزاء من مقاطع دائرية ذات أقطار متناهية في الكبر والامتداد.



شكل (٥) يوضح الحل الهندسي للصلاة جماعة في بيت الله الحرام

هذا هو التفسير الهندسي لنقطة الخلاف بين أهل السنة والجماعة والإمامية حول الصلاة جماعة حول البيت الحرام. والحمد لله رب العالمين.

النتائج:

قدمت هذه الدراسة رؤية هندسية للخلاف الفقهي بين المدارس الإسلامية، أي بين المدرسة الإمامية الفقهية من جهة وأهل السنة والجماعة من جهة أخرى، بخصوص تنظيم صفوف المصلين في صلاة الجماعة حول الكعبة في مسجد بيت الله الحرام. وقد بينت هذه الدراسة جوهر الخلاف باعتماد قوانين الهندسة المستوية لتمثيل شكل الاصطفاف، ثم دمجت بين الرأيين، بين من يرى أن الاصطفاف المحوري حول البيت محققاً لشرط صلاة الجماعة، وبين من يرى غير مجزي لها.

فكان الحل الهندسي المقترح من وجهة نظرنا، وبعد دراسة الرأيين، نراه قد حقق الموقف الشرعي التوافقي بينهما لترتيب صفوف المصلين على شكل أقواس تنتشر في مسجد بيت الله الحرام بحيث يكون مركزها في وسط الكعبة الشريفة، ذلك المكان المقدس والشريف في السماء والأرض.

التوصيات:

يرى الباحث أهمية مناقشة الخلافات الفقهية على وفق مفهوم التجريد لأن التجريد في البحث العلمي يقود الى فهم الحقائق وتصورها بشكل واقعي بعيد عن التعصب والمذهبية وما خلافت الفقهاء إلا نتاجاً للتطور العلمي والعقلي الذي صاحب عملية التطور الاجتماعي للمجتمع العربي المسلم.

الهوامش :

(١) طالب السنجري، الفقه الميسر، باب صلاة الجماعة: دار المجتبى، بيروت، ص ٧٧، ١٤١٩/١٩٩٨.

(٢) سورة البقرة آية ١٢٤

(٣) رواه أحمد في مسنده/ حديث رقم ١٥١٩ برواية سعد

(٤) سورة البقرة آية (١٥٠)

(٥) الخوني، السيد ابو القاسم، منهاج الصالحين، كتاب العبادات/ باب الصلاة - القبلة.

(٦) السيستاني، السيد علي، منهاج الصالحين، كتاب الصلاة، المقصد الثاني/ القبلة، ص ١٧٢.

(٧) النووي، محي الدين شرف أبو زكريا، منهاج الطالبين، المجلد الأول، باب الصلاة، ص ١٨

(٨) القرآن الكريم : (١٤٤:٠٢)

(٩) القرآن الكريم : (١٥٠:٠٢)



المصادر:

القرآن الكريم

١. سورة البقرة آية ١٢٤ ، ١٤٤ ، ١٥٠
٢. مسند الإمام أحمد، بيروت ، مؤسسة الفكر العربي ، د ت .
٣. البهوتي، منصور بن يونس، كتاب الصلاة: مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، ١٣٩٠ هجري.
٤. الخوئي، السيد أبو القاسم، منهاج الصالحين، مطبعة النجف، د ت.
٥. السيستاني، السيد علي، منهاج الصالحين، مطبعة النهضة، د ت.
٦. طالب السنجري، الفقه الميسر، دار المجتبى، بيروت، ١٩٩٨.
٧. النووي، محي الدين بن شرف ابو زكريا، منهاج الطالبين، بدون دار صادر، د ت .